

سلسلة

أفق من غفلتك قبل نزول حفرتك

مروة اليماني

القصة الأولى

حقيقة الدنيا

قال أبو العتاهة:

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

فأبى أن يتركها فبقيت في يده
فأبى أن يتركها فبقيت في يده

إما جنان الخلد وإما الهاوية!!

ها هو نائم علي فراشه الوثير، مُلتحف ولم يستيقظ
بعد، وقد أوشكت علي الاقتراب من الثالثة عصراً، لا
يسمع صوت هاتفه الذي يصدح منذ فترة ليست
بالقليلة، وكيف يسمعه وهو لم ينم إلا في التاسعة
صباحاً بعد أمسية مليئة بما يغضب الله عز وجل مع
صحبة سوء لا ترضي الله ولا رسوله، أستيقظ أخيراً
وأخذ هاتفه بضجر ورد قائلاً بِاغْتِيَاظٍ
" ماذا....ألا يعرف المرء أن يرتاح منك قليلاً وينعم
بنوم هادئ؟! " .

رد صديقه بحزن وأسي:

"ومن يستطيع النوم بعد ما حدث....لقد مات
حسين!! " .

رد بحده قائلاً: من الذي مات! أتصلت بي لتمزح
معيأغلق الهاتف وابحث عن شيء تنشغل فيه
أريد أن أنام .

أتاه هذا الصوت المنكسر المليء بدموع الندم: والله
العظيم مات حسين أتاني الخبر منذ نصف ساعه
واتصلت بك كثيراً لتأتي .

وقع هاتفه من يده وتوقفت الدنيا من حوله.....
وماذا يفعل المرء أمام خبر الموت؟! خاصة لو كان
أقرب الناس إليه أو صديق عزيز، بعد لحظات من
الجمود والصدمة أنزل قدماه علي الأرض، وهن
يحملانه بصعوبة.



وصل الي منزل صديقة ونزل من سيارته، ثم صعد
للأعلى وأذنيه لا تسمع سوي صوت النواح والبكاء
والحسرات، لا يعلم لما كان كل هذا الرعب في قلبه!
مؤكد أنها رهبة الموت لا غيرها .

أنتظر مع صديقه في الغرفة وكل منهم ينظر لجثمان
الصديق الذي فارق الدنيا فجأة وهو علي غفلة ومن
دون أن يعد نفسه لما بعد الموت، ويتخيل جثمانه
ملقي مكانه علي الفراش وأهله يبكون علي فراقه،

فكان قلبهم يرتعد خوفاً وحزن علي مآل إليه

صديقهم.

انتظروا حتي آتي المٌغسل وآخر معه وطلب أن يأتي

أحد من أقاربه يساعده، فقرر كلاً من صديقه

الذهاب، أما هو فلا ... كيف يقف علي غسل صديقه

العزیز، ألح عليه صديقه فدخل بعد كثير من

الإلحاح لاحتياجهم لشخص خامس معهم، وليس

لصديقه أحد سواهم، فهو وحيد أمه وأباه الذي لا

يقوي علي الدخول.

توضأ ثلاثتهم، ثم دخلوا للغرفة.... أمسك برأس

صاحبه كما طلب منه الشيخ والآخرين كانا

يساعدانهم علي التغسيل، وإذا بها بالمفاجأة تقتحم

قلوبهم حين قام الشيخ بوضع الماء علي رأس الشاب

المتوفي (حسين) فإذا به وجهة يسود شيء فشيء،

ومرة بعد مرة كلما كان يصب ماء جديد أسود وجهه

أكثر وهنا ترك رأس صديقه وقرر الخروج وقلبه يدك

حصون صدره، فأمسك به الشيخ وصاح قائلاً:

"قف مكانك لن يخرج أحدكم من تلك الغرفة قبل
تكفين هذا الشاب".

توقف مكانه وأمسك برأس صديقه مجدداً وقلبه
ينبض بشده ولكنه جاهد ليتحمل و حتي ينتهي هذا
الكابوس المرعب، تكفن صديقه بالقماش الأبيض
وصار جاهزاً للدفن، خرج الجميع وكلا الثلاثة ترتعد
فرائصه، أسرع هو تجاه المرحاض وقَاءَ مَا فِي مَعِدَتِهِ،
ثم غسل وجهه وخرج إليهم مرة أخرى ليذهبوا
للمسجد ويُقبرون صديقهم في مقبرته .

وقفو حتي صلي الناس المغرب وبعدها انتهت
الصلاة، صلوا صلاة الجنازة، ثم حملوا جثمانه
وتوجهوا لينزلوا بيه إلي مقبرته، كان شكل المقابر في
الظلمة يبعث في نفوسهم الرعب ولا يذكرهم إلا
بالآخرة وعذابها، حمل صديقه ونزل به للمقبرة مع
الشيخ وأحد أصدقائه ووضعوه تجاه القبلة، ثم
رحلوا جميعاً كل منهم الي بيته وتركوه ها هنا في
حياته الجديدة التي لا يعلم خفاها إلا الله .

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ

يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

(كعب بن زهير)



عاد لمنزله حزين خائف ليس أمام عينيه إلا صورة
القبر المظلم والذي كان يضيئ شيء بسيط بسبب
القنديل الذي كان صديقه يحمله .

أتي صوت ضعيف من آخر ركن في الصالون:
" أتيت يا حسام ... لا تحزن يا بني وادعي لصديقك
إن كنت تحبه حقاً هو الآن يُسال وفي حاجه
للدعاء".

هز رأسه بحزن وأسى ودلف غرفته دون ان يرد علي
أمه,

أوقد ضوء خافت في غرفته وأفترش الأرض وهو يضع
يديه علي رأسه ويراجع حياته تلك، لم يفعل شيء
مفيد قط في حياته حتي عمل والده يتركه لأمه تديره
من البيت وتذهب لتطمئن بنفسها من حين إلي
حين، اما هو فحياته منقلبة رأس علي عقب نهاره
ليل وليله نهار حياة ليس فيها شيء يثاب عليه أو

يستحق العيش من أجله، هب واقف وهو متضجر
من حاله، فتح نافذة ليقابله الهواء الطلق، عساه أن
يرتاح أو يري ما ينسيه هذا المنظر الذي يُذهب
الأرواح ولكن لم تهدي نفسه، فكر أن يدلف
للمرحاض ويتوضأ ويصلي، استغرق في التفكير كثيراً،
حتى نهض وتوضأ ووقف ليصلي ولكن ظل واقف!،
وقف يبكي ولم يكبر حتى تكبيرة الإحرام ينظر في
الأرض وهو يقول لنفسه "أقبلك بعد كل الذنوب
تلك، أقبل لك صلاة بعد كل هذا، أقبل منك توبة
يا حسام؟! " زاد بكائه وخر أرضاً وظل يبكي وهو
يضع رأسه بين كفيه متكي على ركبتيه .



أشرقت الأرض بنور الشمس، دلفت والدة حسام
لتطمئن عليه فإذا بها تجده علي الأرض يجلس علي
سجادة الصلاة وتقريبا غلبه النعاس مكانه فنام،
فنزلت دموعها وهي لا تصدق عينيها وحمدت الله أن
هدئ أبنها لمثل ذلك، فهو لم يصلي قط في حياته

إلا عندما كان صغير وتأخذه ليصلي إلي جوارها
لتعلمه, ولكن خاب أملها فيه, اقتربت منه وايقظته,
استيقظ قائلاً: "صباح الخير يا أمي".

_: صباح النور... سأحضر الفطور غير ثيابك وتعال
لناكل سوياً.

هز رأسه وهو يبتسم, وخرجت أمه, فنهض ليغير
ثيابه, ثم خرج وكانت قد أعدت الطعام كما أخبرته
ولكنه لم يجلس معه, قالت وهي تراه يخرج:

"ألن تفطر معي كعادتك."

_: هناك شيء هام علي فعله, قالها بجفاء دون أن
ينظر لها ورحل, فحزنت وجمعت الأطباق ولم تأكل
كالعادة!.

في طريقة لمنزل صديقه رحمه الله لم يكن يشغله
سوي ما راه أمس حتي كادت سيارته تقتل أحد المارة
, فأنتبه الي طريقه حتي وصل المنزل, نزل مسرع
وألقى التحية علي الجميع, ثم جلس بجوار والد

صديقه وسأله عن الشيخ الذي أتى هنا بالأمس،
فأعطاه رقمه، ثم رحل بعدما جلس معهم قليلاً.



ذهب للمسجد كما أخبره الشيخ أنه ينتظره هناك،
أوقف سيارته أمام المسجد ودخل قال: "السلام
عليكم"

_: "عليكم السلام ورحمة الله وبركاته"

_: أتيت لأسأل عن شيء.

أبتسم الشيخ وقال: "سل ما شئت كلي أذان صاغية"

" .

_: ما حدث بالأمس هل هو طبيعي .

أبتسم الشيخ وقد أدرك ما يعني فقال: "لا كل وعمله

فهي دليل حسن أو سوء الخاتمة.... أن كان المرء

صالح أبيض وجهه وأن كان عمله عمل سوء أسود

وجهه."

صمت قليلاً وقال: هل لي من توبة؟ .

هز الشيخ رأسه وقال "نعم.... طالما لم ينتهي

اختبارك ولم تسحب ورقتك فلك فرصة

ثانية... العبرة بالخواتيم . "

_: لكني فعلت الكثير...و..

اسكته الشيخ قائلاً : عن أبي سعيد سعد بن مالك بن

سنان الخدري - رضي الله عنه - أَنَّ نبيَّ الله صلى الله

عليه وسلم قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل قَتَلَ

تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ

فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ

نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ

مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ

عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى

أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فاعْبُدِ

اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ،

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ، أَتَاهُ الْمَوْتُ
فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ،
فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ،
فَأَتَاهُمُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِي، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ؛ أَيُّ:
حَكَمًا، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ
أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ
. فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ))؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

: وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ

فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشَرٍّ، فَجُعِلَ مِنْ ()
أَهْلِهَا)) وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ: ((فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى
هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي، وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا
بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشَرٍّ فَغُفِرَ لَهُ))، وَفِي
. رِوَايَةٍ: ((فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا)).

غَيْرِ أَرْضِكَ يَا بَنِي وَبَدَلَ صَحَابِكَ فَأَنْهَمُ وَاللَّهُ صُحْبَةً
سَوْءٍ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ اللَّهُ مُسْتَبْشِرًا فَرَحْمَتَهُ وَسَعَتْ كُلُّ
شَيْءٍ...وَأَنَّهُ وَاللَّهُ لِأَرْحَمَ مِنَ الْأُمِّ بِوَلَدِهَا...وَاحْمَدُ اللَّهِ

فقد أعطاك فرصة ثانيه ربما لم يستغل صديقك
رحمه الله ما أتاه من فرص فلا تكن مثله.
كان يسمع كلام الشيخ وعينيه تبكي من رحمة الله,
ظل الصمت مخيم عليهم لفترة أذن لصلاة الظهر
فقال الشيخ وهو يربت علي ركبتيه: "قم يا بني
أغسل وجهك وتوضاً لنصلي الظهر في جماعة .
كفكف دموعه وقام, ثم صلوا وجلس مع الشيخ
يحضر مع الشباب الموجددين في المسجد حلقة
للشيخ عن فضل الأم, وكأنه تلمس ما في قلبه من
مرض ليستأصله, فكانت كلمات الشيخ لينة تشق
طريقها لقلبه دون مجاهدة أو عناء, كان يسمع وهو
يتذكر أمه الذي يتركه كل يوم في الصباح تفطر
بمفردها ويعود فيدخل غرفته لا يسأل عنها أن لم
تأتي لتسأله عن حاجته, فيعيش معها كأنه غريب
عنها.
انتهت الحلقة وتعرف علي بعض الشباب, ثم عاد

لمنزله وهو مُنْشَرَح الصدر.



وجد أمه تجلس علي مقعدها المفضل, في الحقيقة
هذا المكان الذي كان أبيه يجلس فيه دائماً, أقترَب
منها وقبل يدها تحت نظراتها المتعجبة تلك فلم
يفعل ذلك من قبل قط , وقال: "سامحيني علي ما
حدث في الصباح بل ما حدث من طيلت
عمري...أتعبتك كثيراً يا أمي "

_: أظن أنني قد اغضب عليك أو أحزن منك والله يا
بني ما حزنت إلا عليك...ولكن الحمد لله ما حدث
حدث وانتهى واليوم بدايت عهد جديد أليس كذلك
؟ .

أبتسم وقال: " أجل يا أمي ", ثم جلس علي الأريكة
المجاورة لها وقال "ألن تطعمينا اليوم."
ابتسمت وقالت: "حالا يكون الطعام جاهزا."
رن هاتفه وجدهم أصدقائه فأغلق الهاتف, ثم دلف

لغرفته وقرر أن يغير كل شيء فيها, خرج حين نادته
أمه لتناول الطعام وهو يحمل صندوق جمع به
أشياءه, قالت أمه: ما هذا؟! .

_: أشياء لم أعد بحاجتها... سأحرقهم .

_: حسناً تناول طعامك أولاً.

جلس معها ليتناول الطعام, ثم انتهى قائلاً: "تسلم
ايدك يا أمي... سأنزل ساعة ولن اتأخر ان شاء الله ."
حمل الصندوق ونزل, ذهب إلي مكان فارغ وحرقه,
كان كله شرائط قديمة لبعض المشاهير.



مر أسبوع منذ وفاة صديقه, كان يتردد فيه إلي الجامع
ولم يلتقي بأصدقائه القدامه, كان في هذا الأسبوع
يجاهد نفسه ليكف عن التدخين وكلما قلت همته
وعزيمته تذكر قول الشيخ له "قال تعالى" ((وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ)), فتقوي عزيمته وتعلوا همته .

وفي يوم الجمعة بعدما خرج من الصلاة عاد لمنزله

فوجد باب بيته مفتوح وصديقه عنده فقال:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

قالوا: "وعليكم السلام", ثم قال أحدهم "كيف

حالك؟.... غبت عنا كثيراً فجئنا نطمئن عليك."

_: تفضلوا في الغرفة.... ثم نظر لأمه وقال: "ثلاث

أكواب من العصير يا أمي".

دلفوا معه للغرفة وأوصد الباب ثم قال: "أنا بخير

والحمد لله... كيف حالكم أنتم؟."

قالوا: "الحمد لله... ولكن أنت.. أمتقين أنك بخير"

قال في تعجب: "أجل, والله أني لفي أحسن

حال... ثم قال "ما شأنكم تنظرون إلي هكذا؟"

قال صديقه: "لا شيء فقط اشتقنا لرويتك... لن تأتي

معنا اليوم أليس كذلك؟"

_: لا اليوم ولا أي يوم.... أمدلتم كما أنتم لم تفيقوا

بعد مما أنتم فيه بعد كل ما حدث, ألم ترو حسين

وما آل إليه؟

قال أحدهم ساخراً "أهدأ أهدأ يا شيخ حسام فتح

الله عليك... لم يقل الفتى سوي بعض كلمات

وطحت فيه"

قال: "هدأكم الله... اخرجوا من بيتي وانسوا أننا عرفنا

بعضنا يوماً ما."

خرجوا من المنزل وهم يضحكون عليه, بالفعل كما

طلب لم يأتوا إليه ثانياً, وغير رقم هاتفه وانقطعت

أخبارهم.

وأكمل حياته علي هذا النهج يذهب لعمل أبيه الذي

صار عمله ويذهب للمسجد ويعود لبيته واقتصرت

حياته علي كل ما يرضي الله وابتعد عن ما يبغضه الله

من الكبائر... واستمر علي تلك الحالة عدة أشهر

وهو يجاهد نفسه كان ما يؤنبه ويشعره بالذنب

طوال الوقت هي تلك الطريقة التي تعامل بها مع
صديقه (خليل, وعلاء) في المرة الأخير التي أتو
لزيارته, وخاصة بعدما أخبر الشيخ ما حدث وأخبره
أنه أخطأ.



صعد حسام لسيرته بعدما اتصلت به والدته وأخبرته
عن حاجتها لبعض الأشياء ليحضرها معه وهو عائد,
ظل يسير في طريقة حتي توقف في إشارة مرور فعاد
بذاكرته للوراء يتذكر اليوم الذي دائماً يشعره بالندم
والألم...

فلاش باك

بعدما خرج أصدقاءه عادت أمه تحمل أكواب
العصير, قالت: هل رحل أصدقائك؟
نعم, دعينا من هذه السيرة يا أمي, أين طعامك
الشهي؟
ابتسمت وقالت: ثواني ويكون الطعام علي السفرة.

خرجت هي لتضع الطعام في الأطباق, وتبعها هو
ليجهز السفرة, عادت وهي تحمل الأطباق و
ابتسامتها علي وجهها من الأبن الجديد الذي تراه
أمامها, وكأنه كان في سفر وعاد للتو فهي أبداً لم تألف
تلك الشخصية التي كان عليها كانت دائماً لا تري فيه
أبنها... تناول الطعام مع أمه وظل جالس يتحدث
معه قليلاً بعد ذلك دلف لغرفتها يراجع ما حدث
منذ قليل, أتصل بالشيخ وطلب منه لقائه وحدد
معه موعد بعد صلاة العصر وأخبره أنه سينتظره في
المسجد, أغلق مع الشيخ وكان سيلقي بالهاتف من
يده, لكن أتاه اتصال نظر في شاشة هاتفه وابتلع
غضته وهو يري اسمها ورقمها الذي يزين شاشة
هاتفه ويحفظه عن ظهر قلب. قال في نفسه "لماذا
تتصل أنتِ الأخرى.. هل سلطتكم أحد على اليوم؟!"
لم يرد كعاداته كلما اتصلت به في الأيام الماضية
واستمع لنصيحة الشيخ حين أخبره عن ملاحقتها له
بالاتصالات التي لا تنقطع ليل نهار, لكنه لم يغير

الخط كما طلب منه الشيخ ليريح نفسه من هذا
الهم, ويغلق الباب الذي يحاول الشيطان أن يدخل
له منه من جديد, لكنه تلك المرة لم يعد يحتمل,
أخرج شريحة هاتفه وكسرها بيده,
وظل ينتظر مكانه يذكر الله حتي أتى أو شك وقت
الصلاة, فنزل بعدما أخبر أمه أنه ربما يتأخر ويعود
بعد المغرب.

جلس مع الشيخ بعد أداء الفريضة وأخبره ما حدث
فقال له الشيخ لأئمّ: أخطأت يا حسام, ربما لو
صبرت عليهم قليلاً لفهموا خطأهم وعادوا إلي الله,
لكنك تسرعت ولم تتحكم في نفسك وغضبت
لأجلها, وهذه النتيجة.

حتي لو حاولت يا شيخ لن يتغير منهم أحد أنت لا
تعرفهم مثلي.

ضحك الشيخ وقال: ما أدراك يا حسام؟, أن الله
يهدي من يشاء وكل من بداخله الخير والشر, والذي

أتي بك إلي هنا قادر علي أن يأتي بهم.. أياك أن تغتر
بما أنعم الله عليك وتظن في نفسك الخير وفي الناس
السوء.. أتعرف عمر بن الخطاب ؟
ومن لا يعرف الفاروق عمر؟

أتدري ما قيل في عمر؟ هز رأسه نافياً وهو متعجب
ولا يفهم شيئاً، فتابع قائلاً: عن عبد الله بن عامر بن
ربيعة ، عن أمه ليلي ، قالت : كان عمر بن الخطاب
من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج
إلى أرض الحبشة ، فأتى عمر بن الخطاب وأنا على
بعيري وأنا أريد أن أتوجه ، فقال : أين يا أم عبد الله ؟
فقلت : آذيتمونا في ديننا ، فنذهب في أرض الله لا
نؤذى في عبادة الله ، فقال : صحبتكم الله... . ثم
ذهب فجاء زوجي عامر بن ربيعة ، فأخبرته بما رأيت
من رقة عمر ، فقال : ترجين أن يسلم ؟ ! فقلت :
نعم ، فقال : والله لا يسلم حتى يسلم حمار
الخطاب (1)..

(1) رواه الطبراني، حديث صحيح

(2) روى البخاري ومسلم في صحيحهما، عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه»، قال: فبات الناس يذوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال صلى الله عليه وسلم: «أين علي بن أبي طالب؟»، فقالوا: يشتكي من عينيه يا رسول الله، قال: «فأرسلوا إليه فأتوني به»، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب

قال ذلك لأنه يأس من أن يسلم عمر لما يراه منه من
قسوة وغلظة وشدة تعذيب, لكن الله هدي عمر
حتى صار الفاروق, الشاهد من القصة ألا تيأس من
أحد يا حسام, وتذكر ما قاله الله لعلي بن أبي طالب
رضي الله عنه "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ
لك من حُمْرِ النعم" (2) (3)

_ يا الله .. معك حق يا شيخ أنا غضبت لأجل
نفسي, وأيضاً خفت أن يفتنوني.
لا بأس أن خفت علي دينك, لكن ما جاء بخاطرك
وقتها هي وسوسة من الشيطان ليس إلا, أما

عليهم من حق الله فيه فوالله لئن يهدي الله بك
رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»
(رواه البخاري: [3498]، ومسلم: [2406]).
(3) حُمْرِ النعم هي الأبل.

النصيحة والأمر بالمعروف فهن ما يقيك من الفتنة..

وانت أيضاً تحتاج للعلم يا حسام.

أفاق من شروده علي صوت (كلاكسات) السيارات

وسب أصحابها المتواصل, تحرك بالسيارة وأكمل

وجهته حتي وصل للمول دخل واشتري ما هو في

حاجة إليه, وذهب ليدفع حساب ما اشتراه وكانت

هنا المفاجأة, وقعت عينه علي أحد يعرفه جيداً.

وقف أمام الكاشير مذهول, كلاهما ينظر للأخر دون كلام, ولكن "حسام" لا تزال صدمته تعتريه ولولا هذه النظرات التي يراها علي صديقه لما صدق أنه هو, كان متغير كثيراً عن تلك المرة التي رآه فيها منذ أشهر, ملابسه واسعة بعض الشيء و بنطال قصير, وأعفي لحيته, كان متغير بل كل ما تعنيه الكلمة, استمر الصمت قليلاً وهو يتكرر في باله السؤال ذاته "هل هذا حقاً خليل؟"

فاق من شروده مجدداً علي صوت أحدهم وهو يقول: يا أستاذ... يا حضرة.
- أسف.

وضع السلة التي كانت تحوي ما اشتراه أمام خليل ليحاسب عليها, وقال بعدما القي عليه التحية: بحثت عنك كثيراً ولم أجذك... وذهبت لمنزلك القديم ولم أجد أحد.
- حدث الكثير من الأشياء.
أريد أن أتحدث معك.. متي ينتهي عملك.

- في الخامسة.

- حسناً.. سأذهب للبيت كي لا أتأخر على أُمي وبعد ذلك سأعود لنذهب سوياً لأي مكان إن شاء الله.



غادر وهو منشغل البال بصديقه وظل يتسأل ما الذي حدث له؟, انتظر الموعد بفارغ الصبر وهو يطوق لمعرفة ما حدث مع خليل, بحث عنه بعد ما حدث بينهم بعد أسبوع تقريباً, كان يخجل من الذهاب له وما كان هناك وسيلة غيرها لأنه حطم شريحته, ولكن حين ذهب صدم مما حدث وما عرفه هناك, وظل يبحث عنه ولكنه لم يعثر عليه, أما علاء فهو لم يكن صديق مقرب له, كان صديق لأصدقائه ولم يعرف يوماً عنوان لبيته! فقط تبادلوا أرقام الهاتف... فلم يجد لأي منهم طريق وكأن الأرض قد أنشقت وابتلعت الأثنين, ولما يأس من العثور عليهم توقف عن البحث.



جلس حسام مع خليل في كافتيريا, وبعدها طلبوا ما يريدون قال حسام: أين كنت طوال الفترة الماضية؟ سأخبرك, لكن لما كنت تبحث عنا ألم تطلب منا أن لا نأتي إليك مجدداً؟

تسرعت ليس إلا.. أنت صديقي يا خليل.. وما كان ينبغي أن أتخلي عنك.. الجنة واسعة ولن أدخلها من دونك.. يكفي ما حدث لحسين.

ابتسم وقال: رحمه الله... بعدما رحلت من عندك حدثت مشكلة بيني وبين أبي.. نزلت من البيت يومها وأنا غاضب جداً, وبعدها عدت مساءً وجدت أن كارثة قد حدثت, احترق البيت بينما أبي كان نائم, ولم يستطيع أحد أن ينجده من الداخل, وللأسف وصلت متأخراً, وذهبت للمستشفى لأري والدي ولم أستطيع أن أراه, بعدها دُفن وأنا لم أحتمل البقاء هنا كان الشعور بالذنب يحاوطني من كل مكان ولا يزال.. ذهبت لمنزل عمي في الريف وجلست معهم هناك, وتغير هناك كل شيء بعدما فرضت علي نفسي عزلة..

قلق عمي كثيراً بسبب ذلك وبعدها بدأ يتحایل على
كي أخرج من تلك العزلة, واستطاع في النهاية.. بعد
ذلك تعرفت علي بعض الشباب وبدأت أميل إليهم
تدريجياً وأذهب معهم لحلقات في المسجد, وتغير
من بعدها كل شيء, كنا جميعاً مخطئين يا حسام..
أضاعنا أعمارنا بأيدينا.

كان يحكي والدموع تترقرق من عينيه, وحسام أيضاً
تأثر من تخيله للمشهد, قال بعدما انتهى: ومتي
عدت؟

- منذ بضعة أيام... لن أطيل هنا كثيراً... سأبيع البيت
وأنتهي بعض الأشياء وأعود.. سأتزوج بعد شهر من
أبنة عمي وبالمناسبة أنت مدعو للفرح.

قال وهو يبتسم: مبارك عليك... ألا تعرف شيء عن
علاء؟

- لا أنقطع الاتصال بيننا منذ الحادث وأنا لم أحدث
أحد ولا أري احد.

- أنت تعرف بيته.. أليس كذلك؟

- نعم أعرفه.

صمت قليلاً قبل أن يقول: ما رأيك أن نذهب إليه؟!

- تريد أن تحاول معه.

- نعم لما لا؟ .. حق العشرة.

لا بأس, لكن أن كنت تشعر بذنب تج..

قاطعته قائلاً: لا الأمر وما فيه نصيحة أعلم أنها تأخرت
كثيراً.. لكنها الظروف وربما نذهب ونتفاجأ كما فاجأتني
أنت!

ابتسم وقال: حسناً أن شاء الله نذهب إليه غداً بعدما
انتهي من عملي.

- إن شاء الله.. لكن لما تعمل وأنت ست..

- أن لم أعمل من أين أصرف علي نفسي في هذا الشهر
يا صديق.

سمعا الأذن فخرجوا لأداء الصلاة وبعد ذلك أخذه
حسام ليجلسوا قليلاً مع الشيخ وعاد كل واحداً منهم

إلي بيته علي موعد باللقاء غداً.



واتي الموعد الذي حددوه بعد صلاة المغرب وذهبوا
لبيته, لحسن حظهم كان نائم في هذا الوقت بعدما قضي
الليل بطوله خارج البيت, دلف والده ليوقظه بعدما
رحب بهم وهو حزين علي أبنه ويتمني لو كان مثلهم بدل
تلك الحالة التي هو عليها, وأعدت والدته العصير لهم
بعدما جلسوا في الصالون, ودلف كل من أخوته لغرفته,
وكذلك دلف أبيه وأمه بعدما أيقظه بعد عناء وهو يكتم
غيطه كي لا ينفعل عليه أمام الناس ويتسبب في الفضائح.

جلس أمامهم بعدما زفر بضيق وقال: خير؟

قال خليل: عليكم السلام ورحمة الله.

زفر علاء مرة أخرى وهو يتمتم بكلمات سباب لم تصل إلي
مسامعهم... وبعد ذلك: لما أتيتم.. ثم نظر لحسام
وأردف: وأنت يا شيخ ألم تخجل من صداقتنا وطلبت..
قاطع حسام قائلاً: لم أخجل من أحد وعلي الرغم من

ذلك أنا أسف.

- أهدأ قليلاً يا علاء لنتحدث.

- أتفضل يا خليل.. أنا أسمعكم.

تنهد خليل وقال: أنت تعلم معزتك عندنا... رد عليه
بسخرية وتهكم: دعك من تلك الشعارات وأدخل في
الموضوع ماذا تريد؟

- حسناً.. قاطعه حسام قائلاً: أولاً أريدك أن تأتي معنا
لمكان .

- إلي أين؟

- ستعرف حين نصل.

- لا أريد.. ولن أتحرك من مكاني.. وأعتقد أن وقتكم
انتهى.

نهض ليرحل, فأمسك حسام يده وقال: ستأتي يا
علاء.. لن نتأخر وبعد ذلك سنتركك وشأنك.. لك
القرار وقتها.. ولكن لن أتركك قبل أن تأتي معي سواء
اليوم أو غداً أو حتي بعد سنة.

شعر أنه محق وسيظل يطارده فقرّر الذهاب معهم
ليرتاح من رؤيتهم, كل هذا و خليل لا يفهم ما قرره
حسام فجأة فهذا لم يكن أتفاقهم في الطريق
قال علاء: حسناً سأغير ثيابي وأتي معكم.

دلف ليغير ثيابه, فمال خليل علي حسام وقال بصوت
منخفض: ما الذي تفعله... ألم نتفق علي مجرد الحديث
معه.

ستعرف كل شيء حين نصل.. الكلام هنا لن يجدي نفعاً.
أما برأسه وصمت, حتي خرج علاء وذهبوا وهو متضجر
منهم ومن فعلته, وطول الطريق لم ينبس أي منهم ببنت
شفة.



تعجب كلاهما حين رأوا المكان الذي توقف فيه حسام,
نزل حسام و خليل الذي بدأ يستوعب ما أراده حسام,
فقال علاء الذي لا يزال في السيارة: لما أتيت بنا إلي هنا؟

- أنزل وستعرف أم أنك خائف.. في النهاية يوماً سيصير

هذا بيتك.. وأن لم تأتي اليوم بقدمك ستأتي غداً

غصب عنك محمول في نعشك.

نزل وهو مرعوب وقلبه يخفق بشدة لم يأتي لهذا منذ
أشهر طويلة وحين أتى لم ينكسر قلبه من رهبة
المكان كتلك المرة.. خاصة أن الشمس غربت والجو
أكثر رعباً في المساء... أخذه حسام من يده وسار
للداخل حتي وصل عند لحد صغير (للأطفال) لم
يلحد فيه أحد فقال: أنظر للداخل تأمل هذا المكان
جيداً.. أن لم يؤثر فيك موت حسين تخيل موتك
أنت.. تخيل وجودك هنا بمفردك يضيق عليك القبر
حتي يمزق أضلعك... أترى هذا الظلام تخيل ما هو
أظلم منه حين يغلق عليك باب مقبرتك.. تخيل
الملك أن يجلسان عند رأسك.. حاول أن تتخيل معي
هذا الحديث (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا
وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ

نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ
فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا
الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ
لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا
مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا" - قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا: أَنَّهُ
يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ:
"وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا
الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ،
فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ
حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ
الثَّقَلَيْنِ⁽³⁾ .. تخيل نفسك بين يديهم الآن أستجيب
عليهم، أم سينعقد لسانك؟ ... تخيل ضربة واحدة
من ملك...

ابتلع غصة حلقه، وكان حسام علي وشك متابعة
الحديث ولكن نداء الحق أذن فقال: تعال لنصلي

(3) متفق عليه: أخرجه البخاري (1374)، ومسلم (2870)

وبعد ذلك سذهب للمسجد الشيخ سيعطي درس
بعد العشاء.. إن شاء الله نلحقهم قبل أن ينتهي.



ذهب معهم للصلاة وبعد ذلك للدرس الذي لحقوا آخره
ولكن الشيخ كان يتحدث عن الموت أيضاً، بعدما عاد
لبيته ظل كلام حسام ومنظر القبر وكل شيء حدث يتكرر
أمام عينه والكلمات تتردد في أذنه وهو يتخيل نفسه
محمول علي لحده ويُقبر في قبرة، وتذكر حسين وإماراه
سوء الختام.. وكلمة الشيخ هذه حقيقة الدنيا دار اختبار
وإما جنة وإما نار عفانا الله وإياكم.

ظل متيقظ طوال الليل حتي سمع أذان الفجر "الله أكبر..
الله أكبر" فنهض وصلي وظل مكانه يبكي، مرت عدة أيام
وهو علي هذا الحال أغلق هاتفه، لا يذهب إلا للمسجد
ولا يلتقي إلا بخليل وحسام وفقط، وكلما فكر أصحابه في
زيارته أو الاتصال برقم بيته يخبرهم أبيه أنه ليس هنا..
حتي أتى هذا اليوم كان عائد من الدرس مساءً، وجدها

تجلس وتنتظره علي السلم.

قال بتعجب: ليلي ماذا تفعلين هنا.

كانت تبكي, وبكت أكثر حين رآته, قالت: أنت ليس لديك قلب لما لا تجيب علي الهاتف لما اختفيت هكذا.. كدت أموت.. أنت ستفعل معي مثل حسام وتتركني.. كنت أعلم أن هذا اليوم سيأتي.

تسلل الشيطان لقلبه وشعر بالذنب تجاهها, أقرب منها وقال بهدوء: إهدائي.. أنا لن أتركك.. تعلمين أنني أحبك.. لكن..

قاطعته قائلة: طالما أنك قلت لكن.. يعني أنك ستبتعد عني حقاً.

- لا والله لن أفعل... أسمعيني أرجوك.. أنا أنتظر فقط

أن أجد عمل أستقر فيه وبعدها نتزوج.

- ولما لا تجيب علي هاتفك.

- أنا أسف.. لم أكن أعلم أن حالتك ستكون بهذا

الشكل.

كفكت دموعها وقالت: حسناً.. سأمحك بشرط أن
نخرج ونتناول العشاء سوياً.
- ألا تري أن الوقت تأخر.

بكت مجدداً وقالت: وما الجديد.. كنا نخرج في
أوقات متأخرة أكثر من ذلك ... كنت أعلم أنك
ستتهرب مني.

- حسناً.. سنخرج لكن لن نتأخر.



خرج معها وتأخر وحين عاد أطر للكذب علي أبيه وأخبره
أنه تأخر مع حسام و خليل.. دخل لغرفته وظل يتحدث
معهما حتي غفي مكانه وضاع عليه فرض الفجر.. وتوالت
أيام وهو يضيع الفروض ويخرج معها ويترك الدروس..
وكثر كذبه حتي شعر أصدقائه أن هناك شيء غريب
وظروفه وحججه لا تنتهي.. فذهبوا لبيته وكان نائم..
خرج لهم وسأله حسام أن كان صلي الظهر, فقال أنه نام
متأخر, طلب منه أن ينهض ليصلي, ذهب ليتوضأ وبعد

ذلك ذهب لغرفته.. بينما هاتفه الذي نساه علي الطاولة
رن.. فلم يلقي أي منهم بال لذلك.. لكنه رن مرة أخرى
وأخري.. حتي وصلت رسالة.. وقع نظر حسام عليها
بالغلط فعرف الرقم واسمها الذي ظهر, فربط الأحداث
وفهم ما يحدث حوله جيداً.. حين عاد علاء جلس فقال
له خليل: تقبل الله.

- منا ومنكم..

قال حسام: طمئنا عليك.. كيف الحال؟

- بخير الحمد لله.

- تعافت أمك.

- نعم هي بخير الآن.

- حمد لله علي سلامتها.

كأنت والدته خرجت بالعصير وسمعت ما قالو, فنظرت
لأبنها بتعجب وقالت: تعافيت من ماذا؟

هنا أصبح شك حسام يقين وعلم أنه يكذب وهناك شيء

يخفيه, بينما قال علاء: لا شيء يا أمي.. أدخلني أنت
لترتاحي.

دلفت والدته ولم تعقب ولكنها أحست أن هناك شيء
غريب ولم تريد الحديث أمام صديقه, قال حسام بعدما
دخلت: ما رأيك أن تخبرني بالحقيقة أفضل؟
قال علاء بغضب أي حقيقة.. لا تدخل في شيء لا يعينك
أعتقد أن هذا أفضل.

قال خليل: أهدأوا أنتم الاثنين.. وأنت يا علاء نحن أتينا
للاطمئنان عليك..

- شكراً لتعبكم.. وأنا بخير.

قال حسام : لكن أعلم أن هناك شيء تخفيه يا علاء..

لا أخفي شيء.. أنت جئت لتحقيق معي؟

- لا.. لكن بما أننا تتركنا لهذه النقطة , لننتحدث بوضوح
أكثر.. أنظر لهاتفك.

تنهد وأخذ هاتفه من علي الطاولة _والذي كان أقرب

لحسام_ علم أن حسام وقع عينه علي الرقم وعرف كل

شيء فقال: نظرت في الهاتف؟.. أهذه أخلاقك؟

- وقعت عيني علي الرسالة بالخطأ لم أتعمد النظر فيه.

- لا يهم.. أنا أحبها وسأ تزوجها.

- لا بأس في ذلك.. ولكن حتي تتزوجها فما يحدث الآن

حرام وأنت تعلم...

قال علاء بغضب: لا دخل لك.. أعلم أنك تقول هذا فقط

من باب الغيرة.. والأن تفضلاً.. أريد أن أنام.

نهضوا من أماكنهم وخرجوا قال حسام: والله لم أقصد أن

أر....

قاطع خليل قائلاً: أعلم.. تعال وسنأتي له في الغد عله

يهدأ ويسمعنا.. هو مفتون الآن والشيطان مستحوذ عليه.



خرج معها بعدما راء رسالتها التي تخبره فيها أن كانوا

سيخرجون اليوم أم لا, أخبرها أنه سيغير ملبسه ويذهب

ليتناولوا الغداء سوياً، أذن العصر وهو جالس مكانه يشرب
العصير ويتحدث معها وكأنه لا يسمع شيء... وبعد ذلك
خرجا كلاهما، وتمشيا قليلاً، بعد ذلك أوقف لها سيارة
أجره وأعطاه النقود وودعها، وأراد هو أن يمر للرصيف
الأخر، ليركب السيارة ويعود لبيته، ولم ينتبه لتلك
السيارة التي أطاحت به، فوقع غريق في دماءه والناس
التفتت حوله، ولم يعرف أحد من خبطه لسرعة تلك
السيارة، نقل للمستشفى ولأن هاتفه كان تحطم لم يعرف
أحد كيف يصل لأهله، حتي وصلت لهم الشرطة من أوراق
هويته وعلم والده وأخوته ما حدث له و اجتمعوا حتي
خليل وحسام أتو بعدما أتصل بهم والده، خرج الطبيب
بعد فترة وقال: البقاء لله .

مااااااااااااااااات

نزلت دموع الجميع وحسام و خليل, لا يعرف أحد كيف يتصرف... لقد ماات علي سوء خاتمه بعدما أمهله الله وراء الكثير وأرسل له الكثير.. وهو لم يسمع لأحد أنساق

خلف شيطانه ولو أنتظر لتمتع بالحلال ولكنها العجلة.

في الصباح نُشر الخبر في الجرائد.. وضعفت ليلي لم
تستطيع تحمل الأمر وأغواها الشيطان فانتحرت.



يا نفسُ توبي فإن الموتَ قد حانا

واعصِ الهوى فالهوى مازال فتّانا

في كل يوم لنا مَيّتٌ نشيعهُ

ننسى بمصرعه آثارَ مَوْتانا

تمت بحمد الله.